الفصل الرابع

نسق القيم الاجتماعية الإسلامية

obeikandl.com

من الأهمية بمكان التعرض لنسق القيم الاجتماعية الإسلامية ، الذي ساهم بشكل فعّال في إعادة ترتيب النظام الاجتماعي في البلاد التي فتحها المسلمون ، والقيمة عبارة عن فكرة إنسانية سامية ومثالية ، تهدف إلي ضبط وتنظيم سلوك الإنسان في منحى معين من مناحي الحياة ، وعليه فالقيم معايير أخلاقية يقاس عليها سلوك الإنسان ، وقد استنبط المسلمون تلك الأفكار المعيارية أو القيم من الأصول الشرعية الإسلامية المتمثلة في القرآن الكريم والسنة المطهرة ونماذج الممارسة العملية في دولة الرسول الكريم والخلفاء الراشدين ، ثم بعد ذلك جسّدوها في أنماط سلوكية تعد هي النموذج والمثال الذي يقاس عليه .

ويجدر التنبيه إلي أنه من الصعب الفصل القاطع بين القيم علي أساس المجال أو النشاط ، إذ أن القيم تتداخل بشكل لا يمكن تحديده ، فقيم مثل العدالة والمساواة يمكن تصنيفها علي أنها قيم سياسية ، وكذلك قيمة الإخاء ، إلا أنها في ذات الوقت تعد من القيم الاجتماعية ، يقاس علي ذلك قيمة التماسك ولزوم الجماعة ، حيث تعامل علي أنها إحدى القيم السياسية ، وهي في ذات الوقت من القيم الاجتماعية ، أما قيمة عدالة توزيع مقدرات وإمكانات الإنماء والتملك فهي قيمة ذات صلة وثيقة بالمجال الاقتصادي ، إلا أنها في ذات الوقت ذات صلة وثيقة كذلك بالناحية الاجتماعية ، وهكذا يتضح أن كل القيم الإسلامية ترتبط بالعديد من نواحي ونشاطات الحياة البشرية .

ويمكن تناول جملة القيم ذات الصلة والارتباط بالحياة الاجتماعية ، ثم إيضاح دورها في تشكيل النظام الاجتماعي ، وذلك من خلال المباحث السبعة التالية :

المبحث الأول : الإخـــــــاء .

المبحث الثاني : العـــــــدالة .

المبحث الثالث : المســـــــاواة .

المبحث الرابع : التكـــــــافل .

المبحث الخامس : الضمـــــــان .

المبحث السادس : التماسك ولزوم الجمـــاعة .

المبحث السابع : عدالة توزيع مقدرات ومكنات الإنماء

والتملك ومصادر الثروة .

obeikandl.com

المبحث الأول

الإخـــــاء

كانت قيمة الإخاء من أول القيم التي ركز عليها الإسلام ، وأبتدر بها رؤيته وتوجهاته فيما يتعلق بالعلاقات الإنسانية بين أبناء الدين الجديد ، هادفاً إلي توثيق الصلة وتمتين عرى التلاحم بين أناس لم يجتمعوا من قبل ، ويحمل كل منهم رصيداً وافراً من الانتماء والولاء لحضارات وثقافات وأفكار ذات خصوصية ، فكانت حكمة الخالق تقضي بأن يتخلص معتنقو الدين الجديد من ذلك التراكم الثقيل ، ويصبحون خالي الوفاض فارغي الأفئدة إلا من أحكام وقيم الإسلام ، حتى يتمكنوا من خوض غمار رحلة طويلة وشاقة هدفها ترسيخ الإسلام وتركينه ونشر الدعوة وتثبيتها .

ولم تكن قيم الإخاء اجتهاداً فردياً أو رؤية خاصة عبّر عنها وسلكها أبناء الإسلام ، بل كانت قبل ذلك أمراً ألهياً وفريضة شرعية ، ويمكن دراسة قيمة الإخاء بشكل مقتضب ، كإحدى القيم الاجتماعية الإسلامية التي ساهمت في عملية تشكيل ، أو أعادت تشكيل النظام الاجتماعي في المجتمعات التي دخلها الإسلام ، وذلك من خلال الآتي :

أولاً : الإخاء أمر ألهي وفريضة شرعية :

والإخاء يعني إنزال العلاقة الدينية بين المسلمين منزلة الأخوة من النسب ، ومن ثم فقيمة الإخاء عبارة عن علاقة بين المسلمين أساسها الدين الإسلامي ، وهذا الدين انطلاقاً من سموه ومكانته يجعل العلاقة بين المسلمين من القوة والمتانة بما يصل بها إلي منزلة ومكانة الأخوة من النسب .

والإخاء كقيمة إنسانية سامية نادت بها كافة الأديان يهودية ومسيحية ، وحتى الأفكار الإنسانية الموضوعية ، إلا أن الإسلام قد أضفى على هذه القيمة طابعاً خاصاً وأعطاها مذاقاً

مميزاً ، فقد آخى الإسلام بين أشخاص وأفراد لا يعرف بعضهم بعضاً ، وينحدرون من أصول لا يمت بعضها إلي بعض بصلة ، وكانت أخوة الدين في كثير من الأحيان أقوى وأمتن من أخوة النسب وعلى هذا الأساس المتين نشأت وتوطدت أركان دولة الإسلام الأولى التي أسسها النبي الكريم في المدينة المنورة .

وقيمة الإخاء تقود مباشرةً وتلقائياً إلي ما يعرف بالتكافل الاجتماعي ، وللتكافل الاجتماعي شكلان : الشكل الأول أعم وأشمل فهو يشمل كل العلاقات والروابط بين أبناء المجتمع الإسلامي ، الشكل الثاني : أخص وأكثر تحديداً ، وتقوم به الدولة من خلال أجهزتها المعينة ، وسوف نوضح ذلك في حينه ، والآن نتناول قيمة الإخاء بالتفصيل من خلال ما يلي :

❖ قيمة الإخاء في الشريعة الإسلامية :

أبرزت الشريعة الإسلامية قيمة الإخاء بصورة واضحة وجلية ، ويمكن تتبع ذلك من خلال الآتي :

- القرآن الكريم : قال تعالى ﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1] ، وتأتي هذه الآية الكريمة لتحض على كفالة اليتيم والإحسان إليه ومخالطته في طعامه وشرابه فهو أخ في الدين .

وقال تعالى ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ

---

[1] . سورة البقرة : ٢٢٠ .

ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1] ، هذا السياق في شأن الأوس والخزرج فقد كان بينهم حروب كثيرة في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام صاروا إخواناً متحابين متواصلين متعاونين على البر والتقوى .

وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[2] ، وفي هذه الآية ينهى الله تعالى عباده المؤمنين عن مشابهة الكفار ، في قولهم لإخوانهم إذا سافروا للتجارة ونحوها أو كانوا في الغزو لو بقوا عندنا ما ماتوا في السفر ولا قتلوا في الغزو .

وقال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[3] ، كذلك وردت لفظة إخوانهم في هذه الآية لتدل على قوة الرابطة وعمق الأواصر .

وقال تعالى ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[4] ، وتعني هذه الآية الكريمة أن المشركين إذا أقلعوا عن الآثام والمعاصي وعبادة الأوثان وتابوا إلي الله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة بذلك أصبحوا إخواناً للمؤمنين في الدين ، ويا لعظمة الإسلام عندما يجبُّ ما قبله ويحوّل المشرك إلي أخ أعزُّ من أخ النسب .

وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ

---

[1]. سورة آل عمران : ١٠٣ .
[2]. سورة آل عمران : ١٥٦ .
[3]. سورة آل عمران : ١٦٨ .
[4]. سورة التوبة : ١١ .

وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1] ، ويتضح من سياق هاتين الآيتين الكريمتين أن الأخوة في الإسلام أبقى وأفضل من الأخوة في النسب .

وقال تعالى ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾[2] ، ترسم هذه الآية صورة رائعة للأخوة في الإسلام ، فإذا دخل أهل الجنة الجنة نزع الله ما في صدورهم في الدنيا من غل وجعلهم أكثر محبة وألفة مما كانوا عليه في الدنيا .

وقال تعالى ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[3] ، كذلك أبرزت هذه الآية الكريمة معناً بديعاً للتراحم والإخاء ، فقد استعاضت هذه الآية بعلاقة الأخوة في الدين عن علاقة الأبوة إذا لم يُعلم الأب .

وقال تعالى : " ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[4] ، توضح هذه الآية الكريمة أن كل المؤمنين أخوة في الدين ، والإصلاح بين الأخوة واجب وفريضة على كل من يشهد خلافاً بين المؤمنين .

وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾[5] ، تحث هذه الآية الكريمة على الألفة والتآخي والبعد عن الغيبة والنميمة .

---

[1] . سورة التوبة : ٢٣ و ٢٤ .
[2] . سورة الحجر : ٤٧ .
[3] . سورة الأحزاب : ٥ .
[4] . سورة الحجرات : ١٠ .
[5] . سورة الحجرات : ١٢ .

وقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] ، ترشد هذه الآية الكريمة إلي صفات المؤمنين الذين يحبون لإخوانهم ما يحبونه لأنفسهم ويطلبون لهم المغفرة ويسألون الله أن يُخلِص قلوبهم لإخوانهم .

– السنة المطهرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه " .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه " .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" إذا دعا المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب قال الملَك آمين ولك مثله " .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر " .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً " .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن من أهل الإيمان كما يألم الجسد في الرأس " .

❖ الإخاء والتكافل الاجتماعي :

قيمة الإخاء وثيقة الصلة بمبدأ التكافل الاجتماعي ، والمبدأ الأخير يعد إحدى الركائز الأساسية التي ترتكز عليها الدولة في الإسلام ، فهو هدف من أهداف تلك الدولة ،

---

[1] . سورة الحشر : ١٠ .

والتكافل الاجتماعي يعني أن يتكفل من يملك بمساعدة من لا يملك ، ومن يملك قد يكون فرداً وقد تكون الدولة ذاتها ، ويمكن أن نزيد ذلك إيضاحاً من خلال الآتي :

– الإخاء والتكافل بين المسلمين : قيمة الإخاء داخل المجتمع المسلم تقود إلي سيادة مبدأ التكافل الاجتماعي ، فالمسلم يهمه شأن أخيه فيشقى لشقائه ويسعد لسعادته ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " ، وعليه فالتواصل والتراحم بين الأفراد يعد إحدى سمات المجتمع المسلم ، والتواصل والتراحم لا يقتصر على الأمور والمسائل المعنوية والوجدانية وإنما يتجاوز ذلك إلي التكافل والتعاون المادي والاقتصادي .

قال تعالى ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾[1] .

وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ

[1] سورة البقرة : ٢٧٠ – ٢٧٤ .

عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[1] .

وقال تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[2] .

وقال تعالى ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[3] .

وقال تعالى ﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾[4] .

وقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ ﴾[5] .

- دور الدولة الإسلامية في التكافل الاجتماعي : للدولة الإسلامية دور يعتد به في ترسيخ مبدأ التكافل الاجتماعي من خلال التدخل لمساعدة الأفراد المحتاجين ، وتتضمن تلك المساعدة توفير المتطلبات الأساسية للحياة ويتشابه مبدأ التكافل الاجتماعي في الدولة الإسلامية مع فكرة " دولة الرفاهة " السائدة في الفكر السياسي المعاصر ، وتطبق الدولة الإسلامية مبدأ التكافل الاجتماعي عن طريق الأخذ من الأغنياء والقادرين وإعطاء الفقراء وغير القادرين ، وتعرف هذه العملية شرعاً بالزكاة ، وبذا توفر الدولة متطلبات الحياة الضرورية لأكبر عدد ممكن من السكان ، إضافةً إلي توفير فرص العمل لمن يستطيع .

---

[1] . سورة المائدة : ٢ .
[2] . سورة التوبة : ٦٠ .
[3] . سورة التوبة ١٠٣ .
[4] . سورة الذاريات : ١٩ .
[5] . سورة المعارج : ٢٤ و ٢٥ .

❖ الآثار السياسية لقيمة الإخاء :

تترك قيمة الإخاء آثار سياسية بليغة على المجتمع والدولة والنظام السياسي ، وقد برزت تلك الآثار وتنبّه إليها الكثيرون في الوقت الراهن ويتضح ذلك في الآتي :

– توطيد البعد الاجتماعي للدولة في الإسلام : توضح قيمة الإخاء اهتمام الدولة الإسلامية بالبعد الاجتماعي ، كما تبرز هذه القيمة إحدى أهم خصائص تلك الدولة ، وهي خصية الاهتمام بالفقراء والمحتاجين ، فهي تأخذ من الغني لتزكية ماله دون تعسف أو إضرار ، وتعطي للفقير دون من أو أذى لتشعره بالأمن والأمان . وتلبي حاجته فلا يلجأ إلي الطرق المنحرفة لكي يحرز ما يريد ، ولا يمتلئ قلبه بالحقد والبغض على الغني ، وعندئذ يصبح الجميع مواطنين أسوياء يحب بعضهم البعض ويقدرون للدولة دورها الحاني .

لقد وردت نظريات بشرية عديدة للوصول إلي تلك القيمة وإقرارها ، ولم تفلح أي من تلك النظريات في الوصول إلي ما جاءت به الشريعة الإسلامية وصاغته في قيمة الإخاء ، وتركت لأولياء الأمر تطبيق تلك القيمة ، وأناطت بالمجتمع جني ثمارها .

– إقرار الأمن والاستقرار داخل المجتمع : قيمة الإخاء بالوصف والتفصيل اللذين أوردناهما ، تساعد بشكل فعال على إقرار الأمن والاستقرار داخل ربوع الدولة الإسلامية ، فهي تحمي المجتمع من الصراعات بين الأغنياء والفقراء ، وتجعل منه نسيجاً متجانساً ، ومن ثم تتحول الدولة الإسلامية إلي دولة قوية متماسكة تقدم الأنموذج الجدير بالاحترام والتقدير .

ثانياً : صور وأشكال من الإخاء الإسلامي :

كان الإخاء هو القيمة الأولى التي أشرف الرسول الكريم بنفسه علي إخراج أنماطها السلوكية إلي حيز الوجود ، فقد قام بوضع أسس تلك القيمة كترتيب أولي وإجراء مبدئي

ضمن أسس الدولة الإسلامية الأولي في المدينة المنورة ، قاصداً من وراء ذلك تشكيل نظام اجتماعي يعد النموذج الأول والأمثل للنظام الاجتماعي الذي يقاس عليه فيما بعد ، ولقد تعددت صور وأشكال الإخاء الإسلامي ، ويمكن طرح بعض تلك الأشكال والصور فيما يلي :

❖ **الإخاء بين المهاجرين والأنصار :**

كان إفشاء قيمة الإخاء بين المسلمين الأوائل فكراً وسلوكاً أمراً مهماً في مجتمع دولة المدينة، وهي أول دولة إسلامية في التاريخ ، وقد وضح إصرار الرسول الكريم علي الإشراف بنفسه علي هندسة النظام الاجتماعي الإسلامي ، الذي سينشأ بفعل تلك القيمة العظيمة ، وقد تمثلت أهمية وضرورة قيمة الإخاء في الآتي :

– إن الدولة الناشئة في حاجة ماسة إلي مجتمع قوى ومتماسك ، يمكنه أن يشد عضد تلك الدولة ويقيم أسسها وبنيانها علي أركان متينة ، ولن يتأتى ذلك إلا من خلال شعب متلاحم متراص ، يمثل الجبهة الداخلية التي ستدعم عملية الجهاد الطويلة والشاقة من أجل نشر الدعوة وفتح الأمصار .

– إن الوافدين من مكة المكرمة قد خلّفوا وراءهم ممتلكاتهم وما كانوا عليه من جاه وشرف في مجتمعهم ، وعندما جاءوا إلي المدينة كان لابد من أن يجدوا ما يعوضهم ولو حتى عن بعض ما فقدوه ، وكانت قيمة الإخاء من الناحية الوجدانية ذات مغزى عميق وأثر بليغ في نفسية وشعور المهاجرين ، ناهيك عن آثار ونتائج الناحية المادية .

– إن الأنصار كانوا هم أيضاً في حاجة إلي أن يعبّروا للرسول الكريم والمهاجرين معه علي أنهم جديرون بأن يكونوا القوة الضاربة في دولة الإسلام الناشئة ، المستعدين لتقديم أنفسهم وأموالهم في سبيل نصرة الإسلام .

– المفارقة الجدير بالذكر في هذا الصدد أن الإخاء الذي تم بين المهاجرين والأنصار قد تم بين أناس متجانسين في العرق والجنس والعصبية ، وسيكون ذلك بمثابة نموذج ومثال لما سيتم بعد ذلك من إخاء بين أناس من أعراق وأجناس وعصبيات شتى .

❖ الإخاء في الجهاد :

النموذج أو الشكل الثاني من أشكال ونماذج الإخاء بين المسلمين ظهر جلياً في الجيش الإسلامي ، الذي قام بفتح الأقاليم والأمصار ، وكانت عمليات التجنيد والتعبئة تتم من خلال الانضمام الطوعي إلي الجيش ، وكل إقليم أو مصر يفتحه المسلمون ويدخله الإسلام يضيف إلي الجيش الإسلامي زخماً إضافياً ، إلي القوة البشرية ، حيث ينبري أفراد المجتمعات التي دخلت الإسلام للالتحاق بالجيش في حماس منقطع النظير ، وقد آخى الجهاد في صفوف الجيش الإسلامي بين أفراد من أجناس شتى وأعراق متباينة . ولم يسأل أخ أخاه عن جنسه أو عرقه ، ولكن كان الجميع في الإسلام أخوة متحابين . كل همهم أن ينتصر الإسلام ويعم بقاع الأرض .

❖ الإخاء في الدعوة :

الدعوة إلي الإسلام — كما سبق وأوضحنا — كانت تسبق الفتح في بعض الأحيان ، وكانت تعقبه في أحيان أخرى ، وكانت تنفصل عنه وتتم بمعزل عنه في أحيان أخيرة ، وكان للدعوة رجالها ، وقد كان بعض رجال الدعوة مجاهدين في صفوف الجيش الإسلامي ، وكانوا مقاتلين من الطراز الأول ، وقد كان البعض الآخر متفرغاً تماماً لأمور الدعوة والاستعداد لها ، وقد كان هناك بعض ثالث يتقن شئون الدعوة إلي جانب عمله الدنيوي سواء أكان في التجارة أو باحتراف حرفة ما ، إلا أن الجميع كانوا في الدعوة سواء .

وقد آخت الدعوة بين أناس من أجناس شتى مثلها في ذلك مثل الجهاد في جيش المسلمين ، وقد تقلد مسلمون كثيرون من غير العرب مراكز الإمارة في الجيش والإمامة في الدعوة بما يخلب العقول بمنطق الإسلام في الإخاء بين أبنائه .

❖ الإخاء في إعمار الأرض :

كذلك كان الإخاء في إعمار الأرض عموماً هو الشكل الأكثر عمومية وشمولاً من أشكال الإخاء ، وعلي هذا الصعيد آخى الإسلام بين أبنائه في مجالات الإنماء وإعمار الأرض جميعاً ، فتآخي المسلمون في التجارة والحرف المختلفة .

صفوة القول أن قيمة الإخاء قد عمت جميع شئون الحياة ، وأفرزت آثارها علي النظام الاجتماعي في البلاد الإسلامية ، وإذا كان الرسول الكريم قد وضع بنفسه أسس وقواعد هذه القيمة فإن المجتمعات الإسلامية في كافة مناطق الدولة الإسلامية قد جنت ثمارها فيما بعد .

ثالثاً : قيمة الإخاء وترتيب النظام الاجتماعي :

لقد تركت قيمة الإخاء آثارها علي النظام الاجتماعي في المجتمع الإسلامي ، حيث امتدت إلي شكله وترتيب شرائحه وفئاته ، وقد تم ذلك من خلال ما يلي :

❖ المجتمع الإسلامي لم يعرف الطبقية ، ولكنه عرف الفئات والشرائح الاجتماعية التي تظهر داخل المجتمع علي معايير غير اقتصادية ، ولم يكن معيار الغنى والفقر معياراً لتقسيم المجتمع لطبقة الأغنياء وطبقة الفقراء ، وبناء علي ذلك فقد ساعدت قيمة الإخاء في تسييل العلاقات بين شرائح المجتمع وجعلها أكثر سلاسة .

❖ يرتبط بما تقدم أن قيمة الإخاء قد قللت من أهمية المعيار الاقتصادي لعملية الحراك الاجتماعي ، والانتقال من شريحة إلي أخرى ، وجاءت بمعيار آخر هو الإيمان والتقوى والتفاني في سبيل الدعوة .

المبحث الثاني

العـــــدالة

القيمة الثانية التي كان لها دور مهم في تشكيل النظام الاجتماعي في المجتمعات الإسلامية هي قيمة العدالة ، والعدالة من القيم التي تمتد آثارها إلي العديد من مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والإدارية والاجتماعية ، بما يصل بها إلي وضعية القيم العامة .

وللعدالة معنى سام علي أساسها يتوقف صلاح المجتمع واستقامته ، وتستمد هذه القيمة قيمتها وتجد أصولها في الشريعة الإسلامية بأصلها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، ومن ثم فالعدالة شأنها شأن القيم الإسلامية الأخرى يفرضها الحق تبارك وتعالى كضابط من ضوابط سلوك البشر .

ونحاول استظهار أثر قيمة العدالة في تشكيل النظام الاجتماعي في المجتمعات الإسلامية من خلال ما يلي :

أولاً : الأساس الشرعي للعدالة :

العدالة قيمة إنسانية عليا وُجدت في مجتمعات عديدة منذ قديم الزمان ، وهي تعني انتفاء الظلم والجور ، ويمكن تناول قيمة العدالة كقيمة إسلامية من أكثر من جانب :

❖ الجانب الشرعي للعدالة :

نتناول الجانب الشرعي لقيمة العدالة من خلال الاهتمام الملحوظ الذي أعطته الشريعة الإسلامية لتلك القيمة .

قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾[1] ، وفي هذه الآية الكريمة أمر من الخالق تبارك وتعالى بالعدل بين الناس ، وهذا الأمر موجه إلي الحكام والقضاة .

وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[2] ، يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا حاكمين بالعدل ولا يحملنهم الهوى والعصبية على ترك العدل .

وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[3] ، أمر آخر في هذه الآية الكريمة من الله إلي المؤمنين بأن يكونوا حاكمين بالحق قاضين به لله عز وجل لا لأجل الناس والسمعة ، شهداء بالعدل ولا يضطرهم بغض قوم على ترك العدل فيهم ، بل يستعملوا العدل في كل أحد صديقاً كان أو عدواً ، فهذا العدل من تقوى الله ولزوم طاعته .

وقال تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[4] ، كذلك تحمل هذه الآية أمراً من الله تعالى بالعدل في القول والفعل على القريب والبعيد .

---

[1] . سورة النساء : ٥٨ .
[2] . سورة النساء : ١٣٥ .
[3] . سورة المائدة : ٨ .
[4] . سورة الأنعام : ١٥٢ .

وقال تعالى ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾[1] ، يخبر الحق تبارك وتعالى عن بني إسرائيل أن منهم جماعة يتبعون الحق ويحكمون به بين الناس ، وفي هذا دليل على أن العدل ينبغي أن يسود كل المجتمعات المسلمة وغير المسلمة لأنه سنام المجتمع وعماد الأمان والاستقرار والوئام .

وقال تعالى ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾[2] ، والمقصود بالأمة في هذه الآية أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فهي قائمة بالحق قولاً وعملاً ، يقولون به ويدعون إليه ويعملون ويقضون وفقاً له .

وقال سعيد عن قتادة بلغني أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يقول إذا قرأ هذه الآية هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها " ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون " .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية :" إن أمتي قوماً على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم متى ما نزل " .

وعن معاوية بن أبي سفيان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة " .

وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[3] . يأمر الله تعالى في هذه الآية بالعدل الذي هو القسط والإحسان الذي يعني الفضل .

---

[1] . سورة الأعراف : ١٥٩ .
[2] . سورة الأعراف : ١٨١ .
[3] . سورة النحل : ٩٠ .

وقال تعالى ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾[1] . تحمل هذه الآية الكريمة أمراً من الحق تبارك وتعالى إلي رسوله الكريم بأن يحكم بالعدل بين المشركين إذا تخاصموا إليه .

وقال تعالى ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[2] ، وهذا أمر إلهي في هذه الآية للمؤمنين بالإصلاح والعدل بين المؤمنين إذا اختلفوا أو اقتتلوا ، وتحري العدل أمر واجب وضروري في الإصلاح بين المتقاتلين،فالله يحب ذلك ويزكيه .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ بين يدي الرحمن عز وجل بما أقسطوا في الدنيا " .

❖ الجانب الاجتماعي للعدالة :

لقيمة العدالة جانب اجتماعي مهم ، فسيادة هذه القيمة داخل المجتمع تقود إلي انتشار الأمن والأمان والاطمئنان لدى الأفراد والجماعات ، فكل فرد داخل المجتمع يشعر ويتيقن أنه سيحصل على حقه دون ضياع أو إهدار .

وقال تعالى ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾[3] . تشمل هذه الآية الكريمة ولي الأمر والرعية ، فلولي

---

[1]. سورة الشورى : ١٥ .
[2]. سورة الحجرات : ٩ .
[3]. سورة الحج : ٤١ .

الأمر تطبيق شرع الله ، وأن يأخذ من الظالم للمظلوم ، وأن يهدي للتي هي أقوم ما استطاع ، وعلى الرعية الطاعة والإخلاص .

وقال تعالى ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[1] ، هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض أي أئمة الناس والولاة عليهم وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد ، وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس أمناً وحكماً فيهم ، فالعدل يصلح المجتمع وبه تستقر أمور الناس ويأمنون على أنفسهم وأموالهم .

❖ الجانب الإجرائي للعدالة :

يقصد بالجانب الإجرائي للعدالة المسائل ذات الصبغة الفنية مثل المساواة أمام القانون ، ونزاهة المحاكمات ، ويوجد في الدولة الإسلامية جهة معينة تكون مسئوليتها الإشراف على تطبيق العدالة ، وهي في المعتاد وزارة العدل .

ويقع على عاتق ولي الأمر أو الحاكم مهمة إقامة العدالة في المجتمع وتنظيم وترتيب الجانب الإجرائي للعدالة ، والذي يتمثل في الآتي :

- تحديد معايير وضوابط تعيين القضاة وتدرجها ، وكذلك العاملين في مجال إقامة العدالة ، بما يضمن نزاهة القضاء واستقلاليه .

- إنشاء المحاكم ودور القضاء وتوزيعها بشكل متوائم مع مناطق الكثافة السكانية على إقليم الدولة ، حتى لا يشق على المتقاضين وأصحاب الحقوق .

---

[1]. سورة النور : ٥٥ .

– اختصار زمن وإجراءات نظر القضايا والبت فيها ، حيث أن العدالة البطيئة نوع من الظلم ، ولكن بما لا يخل بمتطلبات الاستيفاء ، ومستلزمات الحيدة والنزاهة .

– تجهيز وإعداد القوة الخاصة بتنفيذ الأحكام ، بما يضمن سرعة التنفيذ وحصول صاحب الحق على حقه .

❖ مراتب العدالة :

لقيمة العدالة مراتب ودرجات يمكن تناولها في الآتي :

– عدالة الخالق عز وجل : الله هو الحكم العدل بين جميع المخلوقات والموجودات ، أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، وقد حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده حرام .

قال تعالى ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[1] .

وقال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[2] .

وقال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[3] .

وقال تعالى ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾[4] .

---

[1] . سورة آل عمران : ١١٧ .
[2] . سورة آل عمران : ١٨٢ .
[3] . سورة الأنفال : ٥١ .
[4] . سورة هود : ١٠١ .

وقال تعالى ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[1] .

وقال تعالى ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[2] .

وقال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[3] .

وقال تعالى ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[4] .

وقال تعالى ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾[5] .

وقال تعالى :" ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[6] .

– عدالة الرسل والأنبياء : تأتي عدالة الرسل والأنبياء في المرتبة الثانية بعد عدالة الحق تبارك وتعالى ، وتتمثل عدالة الرسل والأنبياء في أكثر من شكل :

- الدعوة إلي دين الله وتبليغ رسالاته وهداية الناس .
- الحكم بين الناس بما أنزل الله من الكتاب .

وقال تعالى ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾[7] .

---

[1] . سورة النحل : ٣٣ .
[2] . سورة النحل : ١١٨ .
[3] . سورة الحج : ١٠ .
[4] . سورة فصلت : ٤٦ .
[5] . سورة الزخرف : ٧٦ .
[6] . سورة ق : ٢٩ .
[7] . سورة النساء : ١٠٥ .

– عدالة ولي الأمر أو الحاكم : في المرتبة الثالثة تأتي عدالة ولي الأمر أو الحاكم ، وقد سبق لنا تناول عدالة ولي الأمر أو الحاكم عند الحديث عن الجانب الشرعي للعدالة .

– عدالة المسلم : حتى المسلم العادي مطالب بأن يكون عادلاً في أسرته وبين أبنائه ، وبينه وبين كافة الناس في المجتمع الذي يعيش فيه .

قال الحق تبارك وتعالى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾[1] .

وقال تعالى ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[2] .

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم " .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" لتؤدن الحقوق إلي أهلها يوم القيامة ، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء " .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أراضين " .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" إن الله يملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته ، ثم قرأ :" وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد " .

---

[1]. سورة النساء : ٣ .
[2]. سورة النساء : ١٢٩ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شئ فليتحلله منه اليوم ، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، من كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمّل عليه " .

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" إنما أنا بشر وأنكم تختصمون إلي ، لعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له بنحو ما أسمع فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار " .

وعن بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً " .

وعن خولة بنت عامر الأنصارية وهي امرأة حمزة رضي الله عنهما قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة " .

ثانياً : أثر العدالة في تشكيل النظام الاجتماعي :

العدالة – كما سبق الإيضاح – هي سيادة الحق دون تميز بين أصحابه وطالبيه ، وللعدالة أثرها الواضح في تشكيل النظام الاجتماعي ، وذلك من خلال الآتي :

❖ شيوع قيمة العدالة في المجتمع يؤدي إلي سيادة جو عام من الاطمئنان إلي سيادة الحق ، وذلك من شأنه أن يجعل النظام الاجتماعي قوى الأسس ، ركين البناء ، يطمئن أفراده إلي حاضرهم ، ويأمنون علي مستقبلهم .

❖ انتشار قيمة العدالة يجعل من الصلاحية والكفاءة معيار الأفضلية بين أفراد المجتمع في أمور الحياة الدنيا ، وهذا يفيد أن شرائح المجتمع وفئاته ليست حكراً على أحد ، وأنها متاحة لمن يملك مكنات الصلاحية ومقدرات الكفاءة . وهنا تنشط عمليات الحراك الاجتماعي ، حيث تتسم العلاقات بين الشرائح والفئات بالسلاسة والسيولة دون عوائق أو حواجز .

❖ ذيوع قيمة العدالة يتجه بالمجتمع ومن ثم نظامه الاجتماعي نحو الصلاح والصحة وعدم تفشي الأمراض الاجتماعية مثل الفساد والرشوة والمحسوبية .

obeikandl.com

المبحث الثالث

المســـــاواة

القيمة الثالثة من القيم الإسلامية ذات التأثير في تشكيل النظام الاجتماعي هي قيمة المساواة ، ويمكن تناول قيمة المساواة وأثرها في تشكيل النظام الاجتماعي الإسلامي من خلال ما يلي :

أولاً : في ماهية المساواة :

المساواة هي إحدى قيم النسق الإسلامي للقيم السياسية ، ولقد ظهرت هذه القيمة في الفكر السياسي البشري منذ القدم ، ولا تزال حتى الآن تسيطر على فكر الكثيرين ، ونتناول قيمة المساواة من خلال الآتي :

❖ ما هية المساواة :

قيمة المساواة من القيم التي يتسم تعريفها بالصعوبة ، وتنبع هذه الصعوبة من كون مفهوم المساواة يضيق ويتسع حسب معايير وضوابط معينة ، وكذلك من تداخل هذا المفهوم مع مفاهيم أخرى مثل العدالة والحرية ، والمساواة في معناها العام المجرد تعني حالة انتفاء الفروق بين عناصر تتجانس في صفاتها ، ويمكن تحليل المفهوم السابق إلي عناصره التالية :

– حالة انتفاء الفروق : وهذه الحالة تعني التشابه والتماثل والتناظر في المعاملة والقابلية لاستقبال أحكام معينة .

– العناصر موضع التحليل : وهي هنا العناصر البشرية أو الأفراد من البشر .

– التجانس في الصفات : وهذا العنصر من العناصر المهمة في تعريف المساواة ، والتجانس في الصفات هو الذي يعطي مفهوم المساواة التحديد والضبط ، فالتجانس في الصفات هو المعيار والأساس الذي بناء عليهما تطبق المساواة وتظهر إلي حيز الوجود ، وهذا المعيار الذي هو التجانس في الصفات يضيق ويتسع ، ويضيق ويتسع معه نطاق تطبيق قيمة المساواة .

وإذا أخذنا بمعيار التجانس في الصفات على أوسع نطاق ، كنا أمام أفراد الجنس البشري أو بني آدم ، وهنا تظهر قيمة المساواة فيما بين البشر ، ويكون للمساواة على هذا النطاق أو المدى أوجه ومواطن معينة مثل توفير متطلبات الحياة الإنسانية وكافة الأمور الأكثر عمومية .

أما إذا ضيقنا من نطاق التجانس في الصفات إلي مستوى الدولة نكون أمام مواطني الدولة ، فهم أولاً متساوون على أساس معيار الآدمية أو الإنسانية ، ثم بعد ذلك هم متساوون في كونهم يحملون صفات المواطنة لدولة بعينها . ومن ثم فلهم حقوق وعليهم واجبات متساوية وذلك بموجب صفات المواطنة ، وإن المفاضلة بين المواطنين لا تتم إلا على أساس الكفاءة والصلاحية دون اعتبار للأوضاع الاقتصادية أو الاجتماعية أو الأصل أو اللون إلي غير ذلك من العوامل الأثينية .

❖ التداخل بين قيمتي العدالة والمساواة :

يلاحظ أن ثمة تداخلاً واضحاً بين قيمتي العدالة والمساواة ، وقد قاد ذلك التداخل إلي إحاطة مفهوم المساواة بهالة من الغموض وعدم الوضوح لدى كثير من الكتّاب والمفكرين غير المتخصصين ، فالبعض ينظر إلي المساواة على أنها وجه من وجوه العدالة ، إذ أن العدالة تتطلب المساواة في تطبيق الأحكام وإجراء المحاكمات وإقامة الحدود ، كما أن هاتين

القيمتين يرتبط وجود كل منهما بوجود الأخرى ويتوقف عليها ، فلا يتصور وجود العدالة وقيامها بدون المساواة ، وكذلك لا يتصور وجود المساواة بدون العدالة .

وبالرغم مما تقدم تظل قيمتا العدالة والمساواة لكل منهما معناها المتميز ومجالات تطبيقها ودلالتها الخاصة ، والتلازم بين القيمتين وجوداً وعدماً يميز نسق القيم السياسية الإسلامية .

❖ المساواة في الشريعة الإسلامية :

قيمة المساواة وردت في الشريعة الإسلامية مرتبطة بقيمة العدالة ، على اعتبار أن قيمة العدالة في المجتمع الإسلامي تقود تلقائياً إلي قيمة المساواة ، ويمكن الوقوف على ذلك من خلال الإحالة إلي الجانب الشرعي لقيمة العدالة .

❖ الآثار السياسية والاجتماعية للمساواة :

مثل جميع القيم والمبادئ السياسية تنعكس قيمة المساواة على الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي ، فالمجتمع الذي تسود فيه قيمة المساواة لا يعرف المحسوبية ولا الرشوة ولا أي مظهر من مظاهر الفساد الأخرى ، كذلك فالنظام السياسي يتسم بالقوة والتماسك والتواصل بينه وبين مجتمعه الذي يمثل بالنسبة له الوسط والبيئة التي يتفاعل معها ويعيش فيها .

ثانياً : أثر المساواة في تشكيل النظام الاجتماعي :

كذلك لقيمة المساواة أثرها في تشكيل النظام الاجتماعي في المجتمع الإسلامي ، ويتمثل ذلك الأثر فيما يلي :

❖ تساعد المساواة إلي جانب العدالة علي عملية الحراك الاجتماعي حيث تؤدي إلي تسهيل عملية الانتقال من شريحة أو فئة إلي أخرى دون عائق .

❖ قيمة المساواة تقود إلي احترام مقدرات ومكنات الأفراد ومخاطبتهم دون تمييز ومنح الفرصة للأكفأ والأجدر .

❖ المساواة بين الأفراد علي أساس المواطنة والانتماء إلي المجتمع الإسلامي دون النظر إلي الدين يجعل كافة شرائح المجتمع وفئاته مفتوحة أمام الأفراد دون التفات إلي الدين . بل يصبح الاعتبار لمعايير القدرة علي العطاء والجدارة .

obeikandl.com

المبحث الرابع

التكـــــافل

قيمة التكافل من القيم التي تجمع بين الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع ، ويتميز المجتمع الإسلامي بخصوصية إزاء هذه القيمة ، حيث يعطيها مضموناً مميزاً ، كما تتفرد في أشكالها وصورها التي تبدو عليها ، وتستمد قيمة التكافل أسباب وجودها وترسخها في المجتمع الإسلامي من أصول وأسس شرعية تصل بها إلي حد الفريضة ، ويمكننا متابعة وضعية قيمة التكافل في المجتمع الإسلامي وأثرها في عملية تشكيل النظام الاجتماعي من خلال الآتي :

أولاً : الأصول الشرعية لقيمة التكافل :

الإخاء والتكافل من القيم الاجتماعية التي حث عليها الإسلام وأوصى بها ، والتكافل — كما سبق القول — هو التزام الأفراد بعضهم نحو بعض ، وهو يتجاوز التعاطف والتآزر المعنوي من شعور بالحب والبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلي التعاطف المادي بالتزام كل فرد قادر بعون أخيه المحتاج ، ويتمثل هذا الالتزام فقهياً في أكثر من شكل : حق القرابة ، وحق الماعون ، وحق الضيافة ، ومبدأ الإنفاق في سبيل الله .

ويجد الإخاء والتكافل الاجتماعي أساسه الشرعي في كتاب الله العزيز ، حيث قال الحق تبارك وتعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[1] .

---

[1] . سورة البقرة : ١٧٨ .

وقال تعالى ﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1] .

وقال تعالى ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[2] .

وقال تعالى ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾[4] .

وقال تعالى ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[5] .

وقال تعالى : " ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[6] .

وقال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[7] .

---

[1] . سورة البقرة : ٢٢٠ .
[2] . سورة آل عمران : ١٠٣ .
[3] . سورة التوبة : ١١ .
[4] . سورة الحجر : ٤٧ .
[5] . سورة الأحزاب : ٥ .
[6] . سورة الحجرات : ١٠ .
[7] . سورة الحشر : ١٠ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً " .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" والله لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " .

ثانياً : أثر قيمة التكافل في تشكيل النظام الاجتماعي :

يبدو أثر قيمة التكافل في تشكيل النظام الاجتماعي في المجتمع الإسلامي في شكلين علي النحو التالي :

❖ يظهر التكافل مسؤولية الأفراد تجاه بعضهم ، وهذه المسؤولية كانت ذات طبيعة إلزامية في عصور الإسلام الأولى ، فكان الفرد مسئولاً عن الآخر ، والمجتمع في ذات الوقت مسئول عن أفراده .

❖ كما يظهر التكافل أيضاً المجتمع كتلة واحدة متماسكة انطلاقاً من المسئولية بأشكالها ومستوياتها المتعددة .

وينعكس هذان الشكلان علي النظام الاجتماعي ، فيتميز بالترابط ، ويتسم بالقوة والمتانة والمقدرة علي تحقيق أهدافه ، سواء أكانت أهدافاً داخلية متمثلة في بناء الحضارة والمدنية ، أو أهدافاً خارجية متمثلة في نشر الإسلام والدعوة إليه في كافة أنحاء الأرض .

المبحث الخامس

الضمـــــان

الضمان الاجتماعي قيمة اجتماعية ، يقوم بمقتضاها المجتمع متضامناً في شكل كيانه السياسي وهو الدولة بالتكفل بالفرد وضمان حياته ومستقبله ، إذا لم يتيسر له الحصول علي عمل بالرغم من مقدرته واستعداده له ، أو عجز عجزاً كلياً أو جزئياً عن العمل ، أو وصل إلي سن الشيخوخة .

وهذه القيمة التي لم يعرفها العالم إلا مؤخراً عرفها الإسلام منذ بزوغ فجره منذ أربعة عشر قرناً ونيف ، ويمكن إيضاح قيمة الضمان الاجتماعي كقيمة اجتماعية وإبراز أثرها في تشكيل النظام الاجتماعي من خلال التفصيل التالي :

أولاً : حول قيمة الضمان الاجتماعي :

الضمان الاجتماعي – كما سبق التنويه – هو التزام الدولة الإسلامية نحو كافة المقيمين على أرضها، أياً كانت دياناتهم أو جنسياتهم ، وذلك بتقديم المساعدة للمحتاجين منهم في الحالات الموجبة لتقديمها كالمرض والشيخوخة والعجز ، متى لم يكن لهم دخل أو مورد يوفر لهم نطاق الغنى ودون تحصيل اشتراكات مقدماً ، والأخذ بالضمان الاجتماعي في الإسلام يجد أصوله الشرعية في ما ورد في القرآن والسنة بخصوص الزكاة[1] .

ويتمثل الضمان الاجتماعي في ضمان " نطاق الغنى " لا " حد الكفاف " لكل فرد يتواجد في مجتمع إسلامي أياً كانت ديانته ، وأياً كانت جنسيته ، تكفله له الدولة الإسلامية عن طريق مؤسسة الزكاة ، وذلك متى عجز عن أن يوفره لنفسه لسبب خارج عن إرادته

[1] . د. محمد شوقي الفنجري ، الإسلام و عدالة التوزيع .. ، مرجع سابق ، ص ٤٦ .

كمرض أو عجز أو شيخوخة ، ثم يأتي التكافل الاجتماعي من جانب الأفراد كعنصر مكمل لالتزام الدولة وجهودها في إزالة العوز والقضاء على الفقر[1] .

إن الإسلام يفرض التعاون بين الدولة والأفراد ، وأن لكل منهما مجاله بحيث يكمل كل منهما الآخر ، ولا يستغني أحدهما عن الآخر ، فالدولة لا يمكنها القيام بكل شئ ، وأن تدخلها المطلق أو إحجامها المطلق يؤدي إلي مساوئ عديدة ، والأمثل في الاقتصاد الإسلامي هو تحقيق التعاون والتكامل بين الدولة والأفراد على الوجه الذي فصلناه .

ثانياً : أثر قيمة الضمان الاجتماعي في تشكيل النظام الاجتماعي :

تبدو مساهمة قيمة الضمان الاجتماعي في تشكيل النظام الاجتماعي الإسلامي من خلال الآتي:

❖ توضح قيمة الضمان الاجتماعي أهمية الدور الاجتماعي للدولة الإسلامية ، ذلك الدور الذي يتبلور في مسئولية الدولة عن أفراد المجتمع ومتابعة تطورات حياتهم ، وقد برز هذا الدور مبكراً في تاريخ الدولة الإسلامية ، ويعد الدور الاجتماعي للدولة الإسلامية من أهم الملامح والمعالم التي تشكل النظام الاجتماعي ، فدور الدولة أساسي في النظام الاجتماعي ، كما أنه يميزه عن غيره من النظم الاجتماعية .

❖ قيمة الضمان الاجتماعي توضح – كما سبق الإيضاح – اهتمام الدولة بأفراد المجتمع حال صحتهم وقدرتهم علي العطاء ، وعند عجزهم وبلوغهم سن الهرم ، والأفراد من جانبهم يحفظون للدولة هذا الصنيع فيعظم ولاؤهم ، ويتكتلون خلف النظام السياسي ، ويدعمون سياساته وبرامجه داخلياً وخارجياً ، وقد انعكس ذلك في الدولة الإسلامية الأولى

---

[1]. المرجع السابق ، نفس الصفحة .

علي الولاء المطلق من الأفراد للدولة ، وتفانيهم في نشر الدعوة الإسلامية في كافة بقاع الأرض .

❖ مما لا شك فيه أن قيمة الضمان تشعر الفرد داخل المجتمع المسلم بالأمان ، وتقل بالتالي إذا لم تنعدم إمكانية استغلال الأفراد لبعضهم ، ومن ثم يبدو المجتمع كلاً واحداً ، تسوده قيم الإسلام ومُثلُه ، وتقوى العلاقة بين أفراده ، وتتجاوز حدود الشرائح والفئات .

obeikandl.com

المبحث السادس

التماسك ولزوم الجماعة

قيمة التماسك ولزوم الجماعة من القيم الإسلامية العظيمة التي يدعو إليها الإسلام ويتفرد بها ، وتنبع هذه القيمة من أصول ومصادر التشريع الإسلامي الأساسية ، وتساهم بقسط وافر في تشكيل النظام الاجتماعي في الدولة الإسلامية ، ذلك النظام الذي كان ضمن مقومات وعناصر الحضارة الإسلامية في عصورها الزاهرة ، ويمكن بسط مضمون هذه القيمة وتبيان أثرها في تشكيل النظام الاجتماعي في دولة الإسلام من خلال ما يلي :

أولاً : التماسك ولزوم الجماعة فريضة شرعية :

ترقي الإسلام من خلال مصادره التشريعية بقيمة التماسك ولزوم الجماعة ، حتى وصل بها إلي مستوى الفريضة ، فقد أمر الحق تبارك وتعالى المسلمين بالتماسك والالتفاف والتكتل حول دين الإسلام ، وعدم إتاحة أية فرصة للتفرق أو التشتت ، فلا مجال لتحزب المسلمين وتشيعهم، فالمجتمع الإسلامي علي عكس أي مجتمع آخر ، لديه مصادره التشريعية التي لا يمكن الاختلاف حول ما تضعه من أسس أو تفرضه من قواعد ،كما لا يمكن التصدي بالنقاش لحجية وإلزامية تلك الأسس والقواعد .

وفيما يتعلق بأهداف وغايات المجتمع ، فهي محددة ومتفق عليها في المصادر التشريعية ، وتعد من الثوابت ، فالجميع يعلم أن المجتمع المسلم يهدف إلي توفير الحياة الطيبة الكريمة لأفراده، ومن خلال هذا الهدف الوسيط يقصد تحقيق مقصد آخر نهائي ، يتمثل في عبادة الله وإقامة شرعه وإعلاء دينه ونشره في بقاع الأرض .

ويبقى أمر مسارات الحركة وأدوات التعامل مع الواقع ، وهي تلك الآليات التي يستخدمها المجتمع ، ويتمكن من خلالها من التعاطي مع مستجدات الأمور ومتغيرات

الأحداث ، وهذه الأدوات والآليات والمسارات تحمل صفات القدرة الدائمة علي التواؤم والتحاور مع تلك المستجدات والمتغيرات ومن ثم فهي متروكة دون تشريع إلهي يضعها في قوالب محكمة بسبب طبيعتها المتغيرة والمتقلبة ، ومن ثم كان علي المجتمع المسلم التشاور بخصوص مسارات الحركة وأدوات التعامل مع الواقع ، والاتفاق بشكل نهائي لا يدع مجالاً لفرقة أو تشتت حول صيغ وأساليب تلك المسارات والآليات .

مما تقدم نخلص إلي أن الدين الإسلامي لم يدع ما يؤدي إلي الفرقة والتشتت ، بل جاء بكل ما يجبّ ذلك ، ويفرض الألفة والتضافر والاعتصام بذلك الدين وأصوله وأسسه ، وقواعده وقيمه ومبادئه ومقاصده ، حتى ما ترك لرأي الجماعة ينبغي الاتفاق بصدده حول رأي واحد، يجمع الشتات ويلم الشعث ، وعليه فكل أمر الإسلام والمسلمين وفاق واتفاق .

وقد أمر الله تعالي أمراً صريحاً مباشراً بالتماسك والالتزام بشرعه ، والتفاف كافة أفراد الجماعة الإسلامية حوله ، والأمر من الله فرض واجب الإتباع ، ومعنى ذلك أن التماسك ولزوم الجماعة فريضة شرعية ، فرضها الله تعالى علي عموم المسلمين ، حفظاً لشرعه وحفاظاً علي دينه من التشتت والأهواء .

ثم بيّن لنا سبحانه بشاعة نتائج مخالفة الأمر وجسامتها ، وهي مترتبات تهدد وحدة الأمة وتماسكها ، ثم تنعكس بالتالي علي الدين ، فتجعله مبدداً بين الأهواء والأمزجة والمشارب ، بما يؤثر عليه فيصيبه بالوهن والضعف ، وقد ينتهي به الأمر إلي الاندثار .

ومن بيان القرآن وإعجاز منطقه وأسلوبه ، أن تغليظ العقوبة والتشديد عليها وتبيان بشاعة نتائج مخالفة الأمر وجسامتها ، يقوي الأمر ويؤكد علي أهميته وخطورته وعلي ضرورة الالتزام به والتمسك بحذافيره .

قال تعالي ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾[1] .

وقال تعالي ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾[2] .

وقال تعالي ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[3] .

وقال تعالي ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾[4] .

وقال تعالي ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[5] .

وقال تعالي ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾[6] .

---

[1] . سورة آل عمران ، ١٠٣ – ١٠٥ .
[2] . سورة الأنعام ، ١٥٩ .
[3] . سورة الأنفال ، ٤٦ .
[4] . سورة الحج ، ٧٨ .
[5] . سورة الروم ، ٣١ و ٣٢ .
[6] . سورة الشورى ، ١٣ .

ثانياً : أثر قيمة التماسك ولزوم الجماعة في تشكيل النظـام الاجتماعي :

النظام الاجتماعي إن هو إلا انعكاساً مباشراً لتوحد وتكتل الجماعة الإسلامية حول أهداف وجودها والمصادر التي تستمد منها طروحات تشكيل حياتها ، وتنميط حركتها ونشاطها ، ومن ثم فهذه القيمة ساعدت بشكل مباشر وفعّال في تشكيل نظام اجتماعي قوى ومتماسك في أقاليم الدولة الإسلامية ، وقللت من احتمالات ظهور التحزبات والشرذمات ، إلا في أواخر العصر العباسي الثاني ، عندما ضعفت هذه القيمة ، وتراخى المسلمون في تمسكهم بها، فظهرت الفتن وعمت الفوضى وبرزت الفرق واحتدم بينها الخلاف والشقاق .

ويضاف إلي ما تقدم أنه بمتابعة التاريخ الإسلامي ، يلاحظ أن قيمة التماسك ولزوم الجماعة قد قللت إلي مدى بعيد ، وفي فترات طويلة من ذلك التاريخ ، من فرص بروز الشرائح والفئات القائمة علي أسس واعتبارات اقتصادية مادية ، نظراً لاهتمام الجماعة وانصراف كل تركيزها إلي الأهداف السياسية العليا ، وتقديمها علي غيرها من المصالح والمآرب الشخصية والفئوية .

المبحث السابع

عدالة توزيع مقدرات ومكنات الإنماء والتملك ومصادر الثروة

منذ نشأتها خبرت الدولة الإسلامية قيمة عدالة توزيع مقدرات ومكنات الإنماء ومصادر الثروة، وكان للدولة الإسلامية أسلوبها المميز وآلياتها المتفردة في معالجة مسألة من أكثر المسائل تعقيداً أمام صانعي القرار حتى الآن ، وقد صاغ أسس وأصول هذه الآليات والوسائل الرسول الكريم ، وتبعه في ذلك خلفاؤه الراشدون ، وقد انعكست هذه القيمة علي عملية تشكيل النظام الاجتماعي في أقاليم ومناطق الدولة الإسلامية .

وسوف نتابع قيمة عدالة توزيع مقدرات ومكنات الإنماء والتملك ومصادر الثروة وتأثيرها في عملية تشكيل النظام الاجتماعي من خلال ما يلي :

أولاً : حول قيمة عدالة توزيع مقدرات الإنماء ومصادر الثروة في الدولة الإسلامية ، وذلك من خلال الآتي :

❖ **ما المقصود بمقدرات الإنماء :**

مقدرات الإنماء تعني كل طاقة مادية كانت أو بشرية يؤدي تفعيلها وتشغيلها إلي توليد إضافية جديدة إلي ممتلكات وثروات المجتمع ، وهذا التعريف يحوي العناصر التالية :

– المقدرات عبارة عن طاقات مادية أو بشرية ، والطاقات المادية تتمثل في كل ما يمتلكه المجتمع من موارد طبيعية كالأرض والثروات المعدنية والمياه .. الخ ، أما الطاقات البشرية فتتمثل في الأفراد ، وقد وصفت تلك العناصر بأنها طاقات لأنها قابلة للاستغلال والإنتاج وليست خاملة أو غير منتجة .

– المقدرات طاقات قابلة للتشغيل والتفعيل ، حيث أن تلك المقدرات يكمن فيها عنصر الإنتاج والفعالية ، ويمكن استغلال هذين العنصرين الكامنين بالتفعيل والتحريك وعندها تعطي هذه المقدرات وتثمر .

– تشغيل وتفعيل المقدرات يولد إضافة جديدة إلي ممتلكات وثروات المجتمع حيث تتحرك — كما سبق الإيضاح — العناصر الكامنة بتلك المقدرات ، فتولد ثروات وممتلكات جديدة تضاف إلي ثروات وممتلكات المجتمع ، ومعنى ذلك أنه إذا لم يتم تفعيل وتشغيل الطاقات والعناصر الكامنة داخل مقدرات الإنماء فستظل في حالة خمول وركود وعدم قدرة على العطاء والإنتاج .

❖ ماذا يعني توزيع مقدرات الإنماء ؟ :

نموذج الإنماء الإسلامي يميل إلي توزيع المقدرات بوصفها السابق على أفراد المجتمع ، حتى يتولوا تشغيل وتفعيل الطاقات والعناصر الكامنة بداخلها ، فيتسنى لها الإنتاج والعطاء ، ومعنى هذا أن ذلك النموذج عندما يقوم بتوزيع تلك المقدرات على أفراد المجتمع ، فإنه يوزع مع تلك المقدرات مسئوليات وأعباءً وأدواراً يؤديها كل فرد مساهمة منه في عمليات الإنماء ، وتلك المسئوليات والأعباء هي مسئوليات وأعباء تشغيل وتفعيل تلك المقدرات ، ويأخذ ذلك التشغيل والتفعيل أحد شكلين :

– الشكل الأول : نقل تلك المقدرات من حالة الركود والخمول إلي حالة النشاط والفعالية ، فتصبح منتجة ، ثم الحفاظ عليها في حالة الإنتاج والعطاء .

– الشكل الثاني : الحفاظ على تلك المقدرات في حالة الإنتاج والعطاء وتطويرها وتطوير إنتاجها بشكل دائم .

ثانيـاً : أثـر قيمـة عدالـة توزيـع مقـدرات الإنمـاء ومـصادر الثـروة في تـشكيل النظام الاجتماعي في الدولة الإسلامية :

تترتب علي القيمة المذكورة آثـار بليغـة تنتهـي جميعهـا إلـي المـساهمة في تـشكيل النظـام الاجتماعي في الدولة الإسلامية ، فهذه القيمة من القيم ذات الأبعاد المشتركة والمتداخلـة ، فهي قيمة ذات طبيعة سياسية ، حيـث أن صـانعها ومُفعّلـها هـو في ذات الوقـت صـانع القرار ، فهو الذي يمكنه إقرارها ووضعها موضع التطبيـق ، كمـا أنهـا قيمـة ذات طبيعـة اقتصادية كذلك ، فموضـوعها ومحـل تطبيقهـا وتفعيلـها هـو الاقتـصاد ومقـدرات الإنمـاء ومصادر الثروة في المجتمع ، كذلك فالمخاطبين بها هـم أفـراد المجتمـع ، ومـن ثـم فهـذه القيمة تمتد تشعباتها من النظام السياسي إلي النظام الاقتصادي إلـي المجتمـع ثـم النظـام الاجتماعي أخيراً .

ويمكننا متابعـة تـأثير قيمـة عدالـة توزيـع مقدرات الإنمـاء ومـصادر الثـروة علـي النظـام الاجتماعي من خلال الآتي :

❖ ليس المقصد من قيمة عدالة توزيع مقدرات الإنماء ومصادر الثـروة كمـا يـرى أو يظـن البعض هو توزيع تلـك المقـدرات والمـصادر علـي أفـراد المجتمـع بالتـساوي ، ولكـن الأمـر يختلف تماماً عن هذا الزعم الـساذج ، فالعدالـة أساسـاً في هـذا المقـام تعنـى التـزام الحـق والتمسك بالصواب في تقييم صلاحية وكفاءة وجدارة الفرد ، لإعطائه ما يستحق بما يـوازي أو يكافئ تلك المؤهلات، إذن فتوزيع مقدرات الإنماء ومصادر الثروة لا يعنى عمليـة تقـسيم علي مفردات ساكنة خاملة ، ولكنه عملية توزيع مقدرات ومصادر علـي فواعـل ديناميكيـة متحركة بل ودائبة الحركة ، تتجه بحركتها نحو العطاء قبل الأخـذ ، والابتكـار والإنمـاء قبل المصلحة الذاتية، ففائدة المجتمع ومصلحة العموم هي صلب وقوام قيمة عدالـة توزيـع مقدرات الإنماء ومصادر الثروة .

استنباطاً مما تقدم فإن قيمة عدالة توزيع مقدرات الإنماء ومصادر الثروة تعطى فرصة مواتية لإبراز أوجه الصلاحية واعتبارات الكفاءة الخاصة بالعمل والإنتاج والقدرة علي الإنماء والإحداث والابتكار ، ومن ثم فهي تضع معايير موضوعية لعملية التوزيع وما يترتب عليها من إفرازات ونتائج خاصة بالتملك للمصادر والاستحواذ علي الموارد .

إذن فمسألة التملك والاندراج ضمن فئة أو جماعة المالكين لمقدرات المجتمع الإسلامي وثروته مسألة تحكمها معايير وضوابط قيمية ، تتمثل في الصلاحية والكفاءة والمقدرة المتواصلة علي العطاء والإنتاج ، ومن شأن هذه المعايير والضوابط أن تضبط شكل وهيكل فئات المجتمع وشرائحه ، كما تنظم عمليات الدخول إلي هذه الشرائح ، وإمكانيات التفاعل والاستقرار بداخلها وحتى الخروج منها .

❖ إن الإسلام مثلما أوضح طريقة وأسلوب الدخول إلي فئة أو شريحة المالكين من خلال تملك عناصر وأدوات الصلاحية والكفاءة والجدارة ، والقدرة علي إنماء مصادر الثروة في المجتمع ، وإدخالها إلي حلبة الإنتاج والعطاء ، أوضح في ذات الوقت أنه يمكن الخروج من تلك الشريحة أو الفئة ، إذا فقد كل ما تقدم وتحول إلي مفردة خاملة غير منتجة ، تعمل علي تعطيل وهدر ما تحت يدها من مصادر ثروة المجتمع ومقدراته ، وعليه فقد صاغ الإسلام معايير دقيقة وفريدة في تشكيل النظام الاجتماعي ، من خلال تحديده لضوابط الدخول والخروج من الشرائح والفئات الاجتماعية المختلفة ، التي ركزها في الصلاحية والمقدرة والكفاءة علي العمل والعطاء والإنتاج والاستمرار علي ذلك .

إن ما تقدم لا يعنى بحال إهمال فئة الفقراء وغير المالكين والتغافل عنهم ، وهم من ليس لديهم المقدرة علي العمل والإنتاج ، فقد وجه الإسلام إلي تلك الفئة كل رعاية واهتمام من جهتين قادرتين ، وباستخدام نسق القيم الإسلامي كذلك ، الجهة الأولى : فئة المالكين الفعّالين النشطين القادرين علي العطاء والإنتاج وإنماء مصادر ثروة المجتمع ،

حيث أوجب الإسلام علي هذه الفئة كفالة الفقراء من غير المالكين ، وذلك عبر قيمة التكافل التي سبق تفصيلها .

أما الجهة الثانية : فهي الدولة التي يتوجب عليها إلي حد الفريضة رعاية الفقراء والمحتاجين وتحقيق " نطاق الغنى " لهم عبر قيمة الضمان الاجتماعي .

obeikandl.com